طرق انتشار الإسلام في شمال القفجاق

أ. م. د. عماد كامل مرعي
جامعة الموصل – كلية الآداب

الملخص

يهدف البحث الى دراسة مكانية وزمانية مهمة في التاريخ الإسلامي، مكانيًا تقع منطقة الدراسة الى الشمال من جبل القفجاق ممثلة بالدول الوثنية واليهودية والمسيحية، وزمنيًا يمتد موضوع الدراسة حتى منتصف القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد.

ويمثل البحث إلى محاولة تأصيل جذور طرق انتشار الإسلام في تلك البقعة من الأرض بمسمياتها في العصر الوسيط، ولكشف ما خفي من الجانب التاريخي والاثر الحضاري للإسلام في تلك المناطق.

وتناول البحث دراسة تسمية المنطقة وحدودها، واشارات بسيطة عن الأنظمة السياسية السائدة والفئات السكانية، فضلًا عن نبذة مختصرة عن الديانات والعادات والتقاليد التي اتبعوها، وركز البحث على الطرق التي انتشر بها الإسلام وكيفية تغلغله بين تلك الشعوب المتمثلة بالصقالبة (السلاف) والخزر والبلغار والروس والبجناك وما نتج عن انتشاره من تأثيرات حضارية وسياسية، والتي يتبين بها قوة المسلمين وصمودهم واجتهادهم في سبيل نشر الإسلام بين تلك الدول والقبائل، وقد اكتفت الدراسة بالجانب التاريخي لطرق انتشار الإسلام من دون الخوض في التفاصيل الدينية المتمثلة بالفقه والعقيدة؛ لئلا يفقد البحث صبغته التاريخية.

الكلمات المفتاحية: القفجاق، الخزر، البلغار، خوارزم، الروس.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 10, Issue 34-1, Nov 2023
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

Methods of spreading Islam in the North of the Caucasus

Asst. prof. Dr. Emad Kamel Marei
University of Mosul- College of Arts

Abstract

The research aims to conduct an important spatial and temporal study in Islamic history. Spatially, the study area is located to the north of the Qafqaq Mountain, represented by pagan, Jewish and Christian countries, and temporally the subject of the study extends until the middle of the eighth century AH/fourteenth century AD.

The research represents an attempt to establish the roots of the methods of the spread of Islam in that part of the earth with its names in the Middle Ages, and to reveal the hidden historical aspect and cultural impact of Islam in those regions.

The research dealt with the study of the naming of the region and its borders, and simple references to the prevailing political systems and population groups, as well as a brief overview of the religions, customs and traditions that they followed. The research focused on the ways in which Islam spread and how it penetrated among those peoples represented by the Saqlabis (Slavs), Khazars, Bulgarians, Russians, Pechenegs, etc. Its spread resulted from cultural and political influences, through which the strength, steadfastness and diligence of Muslims in order to spread Islam among those countries and tribes is revealed. The study was limited to the historical aspect of the methods of the spread of Islam without delving into the religious details represented by jurisprudence and doctrine, so that the research does not lose its historical character.

Keywords: Caucasus, Khazars, Bulgars, Khorezm, Russians.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله اجمعين وبعد:

نزح الى شمال القفجاق العديد من الهجرات البشرية وبالأخص من المناطق المجاورة له من ناحية المشرق وتحديدًا إقليم خوارزم متمثلةً بالقبائل التركية، وقبائل الروس القادمة من ناحية الشمال (البلدان الاسكندنافية)، ونتج عن تلك الهجرات العديد من الدول في شمال القفجاق، والتي هيمنت بدورها على شعب شمال القفجاق المتمثل بالصقالبة (أسلاف السكان الأصليين للبلاد)، بل واندمج ذلك الشعب مع الشعوب المهاجرة ولاسيما الروس حتى انصهرت تسميته وتلاشت مع مرور الزمن.

وأول تلك الهجرات الى شمال القفجاق هجرة قبيلتي الخزر والبلغار في نهاية القرن السادس للميلاد، والتي استوطنت المناطق الشرقية والجنوبية من شمال القفجاق على سواحل بحر الخزر (قزوين) وضفاف نهر اتل(الفولغا) السفلى والعليا، وتبعهم الروس والبجناك في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد وقد استوطنوا في المناطق الغربية والشمالية من شمال القفجاق على ضفاف نهري الدنيستر والدنيبر امتدادًا الى شبه جزيرة القرم.

وقد جلبت تلك القبائل دياناتها وعاداتها من مناطق هجرتها الى مناطق استقرارها الجديدة، والتي كانت وثنية بطبيعتها، ثم تأثرت فيما بعد بديانات من حولها من دول وبالأخص المسيحية المتمثلة بالدولة البيزنطية والإسلام متمثلًا بدولة الإسلام، وكان للإسلام أثر بالغ بعد انتشاره بين تلك الدول او القبائل بعدّة طرق بعيدة عن عمليات الفتح والاستقرار التي اتبعت في غيرها من البلاد التي دخلت حوزة الدولة الإسلامية.

أولًا– التسمية

اختلفت الروايات التاريخية بمختلف مصادرها الإسلامية وغيرها حول تسمية القفجاق، فقد قدمت تلك المصادر ولاسيما الإسلامية منها العديد من التفسيرات، منها لغوية وأخرى تاريخية معتمدة على التسمية نسبة للأقوام الساكنة حول جبل القفجاق في تلك المنطقة.

ففي لغة السكان المحليين والتي تسمى اللغة الاديغية كانت كلمة القفجاق تعني عندهم بلاد ما وراء الجبل [١]، وهذهِ دلالة او إشارة إلى أن التسمية كانت تشمل سكان شمال القفجاق فقط من دون جنوبه، اما المصادر الأرمنية سكان جنوب القفجاق فأرجعت تسمية القفجاق نسبة الى اسم احد اجدادهم والذي كان يدعى قاوقاوس[٢].

اما تداوله في المصادر الإسلامية الجغرافية والتاريخية، فمرّ بمرحلتين ففي المصادر المتقدمة كان يطلق على تلك المنطقة بلاد القبق والقبخ والقيق والقيتق' نسبة الى اسماء القبائل التي كانت تسكن على طرفي جبل القفجاق او بالقرب منه[٣]، وقال ياقوت الحموي في معنى هذهِ الكلمات بأنها اعجمية لا تمتّ للعربية بصلة[٤] مما يدل على ان المصادر الإسلامية التاريخية والجغرافية قد اعتمدت على نسخ المصطلح او التسمية على وفق تسمية اهل البلاد المحلية او على أسماء القبائل في تلك المنطقة، وعلى هذا الأساس لا يمكن ان تكون مرجعًا لتفسير معنى كلمة او مصطلح القفجاق.

وفي المرحلة الثانية عند المصادر المتأخرة أصبحت التسمية اكثر وضوحًا فقد أُطلق على المنطقة اسم القفجاق وخفشاخ ودست قفجاق او دشت قفجاق (صحراء الاتراك)[٥]، والملاحظ في تدرج هذهِ التسمية في المصادر الإسلامية هو كثرة الهجرات الى شمال القفجاق، فقام المسلمون بنقل المصطلح على وفق تسمية اهل البلاد لها من دون ان يقدّموا ايضًا تفسيرًا لذلك.

والسبب في ذلك يعود الى تسمية المنطقة نسبة الى قبيلة القفجاق التي بدأ نجمها يلمع بعد ضعف البلغار في القرن السادس للهجرة/ الثالث عشر للميلاد إذ امتزجت كل القبائل التركية في شمال القفجاق مع هذهِ القبيلة كأنهم جنس واحد بل ان تسميتها طغت حتى على المغول الذين حكموا شمال القفجاق[٦]، فأخذ المؤرخون يطلقون عليها اسم بلاد القفجاق او دشت قفجاق كما ذكر سابقًا.

وأفضل ما قدّم في تفسيرها هو الرأي القائل: إن كلمة قفجاق هي تركية في الأصل وقد اطلقت على القبائل التركية التي خرجت عن حكم مملكة الاتراك الغربيين في بلاد ما وراء النهر واستقرت في شمال القفجاق[٧] مثل: قبائل الخزر والبلغار والبجناك والمغول وغيرهم من القبائل التركية الأخرى والتي سيرد ذكرها لاحقًا.

ثانيًا- التخوم (الحدود)

يقع شمال القفجاق الى الشمال من جبل القفجاق الذي يعد حدًا فاصلًا طبيعيًا ما بين شمال القفجاق وجنوبه المتمثل بأذربيجان وأرمينية والكرج، وبذلك يكون جبل القفجاق ممثلًا التخوم الجنوبية لبلاد شمال القفجاق[٨]، ومن جهة الشرق والشمال الشرقي فقد كان يتأخم شمال القفجاق نهر آتل (الفولغا)[٩] ليشكل بامتداده فاصلًا طبيعيًا ما بين شمال القفجاق وبلاد ما وراء النهر (اسيا الوسطى) وتحديدًا إقليم خوارزم.

ويكوّن بحر الخزر (قزوين) التخوم الطبيعية لشمال القفجاق من الجهة الجنوبية الشرقية[١٠]، اما ناحية الشمال فتمتد الى ارض الظلمات[١١]، ومن الجهة الغربية يتأخمه بحر نيطش (البحر الأسود) وأراضي الروم[١٢].

وبذلك تكون المنطقة محصورة ما بين جبل القفجاق وبحر قزوين والبحر الأسود ونهر آتل (الفولغا) وأرض الظلمات وبهذا الموقع شكّل شمال القفجاق أهمية استراتيجية على الصعيدين السياسي والاقتصادي؛ لمجاورته ديار الإسلام وبيزنطة ووقوعه على الطرق التجارية الرابطة ما بين آسيا وأوربا.

ثالثًا- المكون السكاني والسياسي

كان شمال القفجاق مستقرًا للعديد من العناصر السكانية؛ لكثرة ما توافدت اليه من هجرات سواء من بلاد ما وراء النهر أو بلاد الشمال (البلاد الاسكندنافية) وغيرها، وبسبب هذا التنوع شهدت المنطقة تعايش عدّة ديانات مثل: الوثنية، واليهودية، والنصرانية، والإسلام، وقد أدى هذا التباين في القومية والدين إضافة لموقعها الاستراتيجي، الى حدوث نزاعات بشكل مستمر على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ومن اهم العناصر السكانية المشهورة في شمال القفجاق السكان المحليون الصقالبة الذين ينحدرون في اصولهم الى الجنس الاري، أي: الهندو أوربي[١٣] وهم قوم حمر الوجوه صهب الشعور اطلق المسلمون عليهم اسم الصقالبة[١٤].

وأطلق عليهم الفرنجة اسم السلاف وهي تعني العبد[١٥] والسبب في ذلك انهم امة غير مسلمة وكثيرًا ما كانوا يتعرضون الى الغزو من الروم والافرنج (الروس، والخزر، البلغار، والبجناك)[١٦]، والمتتبع لتاريخ هؤلاء يجد أن تسميتهم بالسلاف، أي: العبيد قد اكتسبوها من كثرة ما كانوا يقعون في الأسر فقد كانوا يتعرضون لعدّة هجمات من الفرنجة والخزر والروس والبلغار فيسبون ويباعون في الأسواق عبيدًا بل كانوا هم المصدر الأساس للعبيد الأبيض في شمال القفجاق.

ويأتي الخزر بالمرتبة الثانية وهم قبيلة تركية هاجرت من بلاد ما وراء النهر الى شمال القفجاق واستقروا على سواحل بحر قزوين في نهاية القرن السادس للميلاد وتمكنوا من إنشاء مملكة لهم استطاعت ان تسيطر على المناطق المحصورة ما بين بحر قزوين والبحر الأسود(١٧).

والى جانب من هاجر مع الخزر من بلاد ما وراء النهر البلغار وهم ايضًا شعب ذو أصول تركية، كانوا في بادئ الامر تابعين الى مملكة الخزر ثم استقلوا بمملكة خاصة بهم تقع الى الشمال من مملكة الخزر ويتاخمها الصقالبة من جهة الغرب وخوارزم من جهة الشرق(١٨).

وفي القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد شهد شمال القفجاق هجرة قبيلتين، الأولى: قبيلة البجناك التي هاجرت من أواسط اسيا وتنقلت في شمال القفجاق بالقرب من مملكة الخزر، ومملكة البلغار الذين دخلوا في صراع انتهى باستقرارهم فيما بعد بين نهر الدنيبر والبحر الاسود(١٩).

والثانية: هم الروس الذين جاءوا من اقصى شمال أوربا وبالتحديد من شبه الجزيرة الاسكندنافية عبر جبال الكاربات(٢٠)، واستقروا في المناطق الممتدة من جبال الكاربات غربًا الى نهر الدنيبر والدنيستر جنوبًا ومن جهة الشرق وصلوا الى نهري آتل (الفولغا) واوكا(٢١)، اما حدودهم الشمالية فكانت تمتد الى ارض الظلمات، أي: المحيط المنجمد الشمالي(٢٢).

وسكنت قبيلة القبجاق (القفجاق) التركية شمال القفجاق الى جانب البلغار قادمة من ضفاف نهر أرتش الواقع بالقرب من منغوليا والصين، وأصبحت فيما بعد نتيجة لكثرة عدد افرادها مهيمنة في تسميتها على البلغار بل وحتى قبيلة المغول الذهبية فيما بعد، بل امتزجوا معهم فاصبح اسم قبيلة القفجاق طاغيًا على كل التسميات الأخرى في شمال القفجاق(٢٣)، والسبب في ذلك يعود الى انهم من خيار اجناس الترك؛ لما اتصفوا به من شجاعة ووفاء وعدم الغدر، وطرفة الشمائل(٢٤).

وأخيرًا وليس آخرًا قبيلة المغول الذهبية التي اجتاحت شمال القفجاق ابتداءً من سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، وتمكنت من السيطرة عليه بالكامل بمرور الزمن، باستثناء المناطق التي كان يحكمها الروس(٢٥) الذين كانوا السبب فيما بعد في إزالة حكم المغول المسلمين عن تلك الأراضي.

رابعًا- المعتقدات الدينية

عرفت شعوب شمال القفجاق العديد من المعتقدات الوثنية والديانات السماوية والتي اثرت بشكل مباشر وغير مباشر على حياتهم اليومية في المجالات كافة ، وأول المعتقدات -كما هو معروف- هي الديانة الوثنية المتمثلة بعدة أشكال منها: الشامانية(٢٦).

وأول القبائل المهاجرة الى شمال القفجاق والتي أُورخ لها بشكل واضح وجلّي هي قبيلتا الخزر والبلغار التي جلبت معها الديانة الشاملنية الى شمال القفجاق والمعروف عنها هي دين الاتراك في بلاد ما وراء النهر وكانوا يعبدون الإله تنكري خان[٢٧]، وما أن استقر غالب شعوب شمال القفجاق في نهاية القرن السادس للميلاد، حتى أصبحوا مجاورين للدولة البيزنطية والدولة الساسانية ومن بعد الساسانيين الدولة الإسلامية، فكان لابدّ لهذه الدول ادخال دياناتهم الى تلك البلاد؛ لغرض كسبهم حلفاء لهم واجتنابًا لمخاطرهم[٢٨]، فقد تأثروا بديانات هذه الدول إلا أن التأثير الأكبر كان في البداية للديانة الوثنية.

فالملاحظ ان عبادة النيران كانت منتشرة عند معظم شعوب شمال القفجاق مثل: الخزر والبلغار والصقالبة والبجناك[٢٩] وعبدوا البقر مثل: الصقالبة[٣٠] وانتشرت عبادة الشمس[٣١]، وعبادة الاصنام[٣٢] وجعلوا من قوى الطبيعة آلهة وعبدوها، وآمنوا بالحياة بعد الموت وهو ما يبدو بعاداتهم في دفن الموتى[٣٣].

وكان للروس والصقالبة معابد خاصة بهم يضعون فيها الصور والتماثيل والاصنام المصنوعة من الحجارة او الخشب ويتقربون اليها بتقديم القرابين[٣٤]، وعبدوا الأشجار وقدموا لها القرابين وبالأخص الروس؛ ظنًا منهم أنها تجلب لهم البركة في تجارتهم[٣٥]

اما المسيحية فهي اول الديانات السماوية التي دخلت شمال القفجاق؛ لوقوعه على تخوم الدولة البيزنطية، إذ اعتنق بعض الخزر المسيحية من قبل الاسقف الالباني إسرائيل (٥٧-٨٣هـ/ ٦٨٧-٧٠٢م)[٣٦]، واعتنقها الصقالبة على مذهب يعقوب الارثوذكسي[٣٧]، ودخلت بلاد البلغار وهو ما ذكرته المصادر الجغرافية[٣٨] اما الروس فهم اهم الشعوب في شمال القفجاق بالنسبة إلى اعتناق المسيحية فقد اصبحوا هم الحامين لها بعد الدولة البيزنطية في شمال القفجاق، فقد وجدت المسيحية طريقها اليهم منذ عام (٣٣٤-٣٥٣هـ / ٩٤٥-٩٦٤م) عندما سمحت الاميرة اولغا زوج الأمير ايجور للأساقفة المسيحيين بالتبشير بالمسيحية في عاصمة الروس كييف بل وأذنت لهم ببناء كنيسة فيها[٣٩]، وعزّز موقف المسيحية في عام (٣٧٥هـ / ٩٨٥م) في عهد الامبراطور البيزنطي باسيل الثاني (٣٦٦-٤١٦هـ / ٩٧٦-١٠٢٥م)[٤٠]، وأصبح دينًا رسميًا للروس في عهد الأمير فلاديمير (٣٧٠-٤٠٦ هـ / ٩٨٠-١٠١٥م)[٤١]، وبالأخص بعدما تزوج الاميرة انا اخت الامبراطور باسيل الثاني[٤٢].

ووجدت الديانة اليهودية طريقها الى بلاد شمال القفجاق وتحديدًا في بلاد الخزر وشبه جزيرة القرم الواقعة على سواحل البحر الأسود، فقد استطاع تجار اليهود ان يكسبوا خاقان الخزر الى دين اليهودية وساعدهم في ذلك الامر سياسة الدولة البيزنطية في اضطهاد اليهود وطردهم

في القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد من أراضيها، فهاجروا الى شبه جزيرة القرم ومنها الى إقليم الخزر، إذ استطاعوا استمالة خاقان الخزر الى دينهم(٤٣)، الذي وجد ضالته السياسية في هذا الدين، فاعتناقه للديانة اليهودية فيه مكسب سياسي، يبعده من التبعية الى مَنْ جاوره من دولة الإسلام او بيزنطة المسيحية(٤٤).

وأراد ان يحد من انتشار ونفوذ الديانتين الإسلام والمسيحية التي انتشرت بشكل كبير ضمن مناطق نفوذ مملكته، وأصبحت تشكل الغالبية العظمى من شعبه، فلو انهم اتفقوا على التمرد عليه لا يكون بمقدوره ردعهم او قمعهم(٤٥).

خامسًا- طرق انتشار الإسلام في شمال القفجاق

في خضم انتشار الديانات المذكورة سابقًا، وجد الإسلام طريقه الى شمال القفجاق وبعدّة طرق ساعدت في انتشاره في اغلب شعوبه ولاسيما عند الخزر والبلغار والبجناك.

وكانت هناك عدّة طرق حمل بها الإسلام بوصفه دينًا وعقيدة الى شمال القفجاق، عانى فيها المسلمون ما عانوا لإيصال الإسلام الى تلك المناطق، فلم يكن وصوله اليها مثل بقية الأقاليم او الأراضي التي وصل اليها الإسلام بالفتوحات وسياسة الدولة الإسلامية في تثبيته آنذاك.

تلك السياسة القائمة على عدّة أمور منها: استقرار الجند في المدن المفتوحة وبناء دار الإمارة والمسجد الجامع، وإسكان القبائل العربية الى جانب السكان المحليين، وعهود الصلح التي كان يبرمها قادة الجيوش او ولاة المدن المفتوحة مع السكان المحليين والتي كانت بمثابة امان لهم(٤٦)، فضلًا عن ارسال علماء الدين واللغة العربية مع الجيوش(٤٧)؛ للدعوة الى الإسلام وتعليم الناس لغة القران العربية او تنظيم عمليات الفتح واستمراريتها.

وهذه السياسة قد اتبعت في كل البلاد التي فتحتها الدولة الإسلامية واستقرت فيها مثل: بلاد الشام والعراق والمغرب والاندلس والعراق وخراسان، وما يهمنا في هذا البحث الجهة الشمالية والشمالية الشرقية من دولة الإسلام، والتي اختلف فيها انتشار الإسلام في تلك المناطق عمّا ذكرناه سابقًا.

وعلى أيّة حال بعد فتح العراق على اثر معركتي القادسية (١٥هـ / ٦٣٦م) ونهاوند (٢٠هـ/ ٦٤١م)(٤٨)، اصبح هناك قاعدتان لانطلاق الجيوش الإسلامية الفاتحة، وكانت الجهة الشمالية والشمالية الشرقية من نصيب مقاتلة الكوفة مع مساندة اهل الشام بشكل مستمر لهم فيتلك الجبهة(٤٩).

وأول ما فتح من بلاد القفجاق جنوبه المتمثل بأذربيجان سنة (٢٢هـ / ٦٤٣م) وارمينية من بعده والتي اكتمل فتحها سنة (٣١هـ / ٦٥٢م)[٥٠]، وقد وصل اليها الإسلام على وفق ما ذكرناه من وسائل اتبعتها الدولة الإسلامية في سبيل ذلك.

وأخذت انظار الدولة الإسلامية تتوجه بعد اكمال فتحها لأذربيجان وارمينية الى ما وراء جبل القفجاق الذي كان يعد حاجزًا طبيعيًا يفصل ما بين شمال القفجاق وجنوبه، وتحركت الجيوش الإسلامية الى مدينة باب الأبواب[٥١] وتمكنت من فتحها صلحًا سنة (٢٢هـ/ ٦٤٣م)[٥٢] وبذلك الفتح بدأ الاحتكاك بين المسلمين وشعوب شمال القفجاق.

وتوجهت حركة الفتوحات الى شمال القفجاق في العام نفس واصطدمت بمملكة الخزر أول الممالك بعد الجبل وحدثت العديد من الحملات العسكرية استطاع بها المسلمون دخول عاصمة الخزر مدينة بلنجر ومن بعدها مدينة سمندر، فانسحب الخزر الى عاصمتهم الجديدة مدينة اتل الواقعة عند مصب نهر اتل (الفولغا) في بحر الخزر (قزوين) وتمكن بعد ذلك المسلمون من دخولها في أواخر العصر الاموي، وعاهدوا صاحبها على الدخول في الإسلام فقبل وما أن خرجوا من دياره حتى عاد وانتفض وأعلن عصيانه للمسلمين[٥٣]، والملاحظ بصورة عامة عن حركة الفتوحات في شمال القفجاق انها كانت دائمًا تختم بالانسحاب ولم تطبق أيّ من وسائل الدولة الإسلامية في تثبيت الإسلام في البلاد المفتوحة المذكورة سابقًا، وذلك بتثبيت موطئ قدم في بلاد الخزر، ليكون قاعدة لانطلاق وإيواء الجيوش في الوقت نفسه ، او وضع حاميات إسلامية او تعيين حكام مسلمين للأراضي التي فتحوها، والتي تضمن استقرار الفتوحات ونشر الإسلام في الوقت ذاته.

وهنا لابدّ ان ذكر مسألة مهمة، ألا وهي جعل الفتوحات الإسلامية من الطرق التي انتشر الإسلام بها في شمال القفجاق، فقد عول الكثير من الباحثين[٥٤]، على هذه المسألة وأسهب في ذكر الفتوحات محاولًا جعلها اساسًا لانتشار الإسلام في تلك المناطق، والحقيقة ان حركة الفتوحات كانت عمليات كرّ و فرّ بين الطرفين امتدت من سنة (٢٢هـ/٦٤٣م) وكانت نهايتها سنة (١٨٣هـ/٧٩٩م) وهي آخر هجوم للخزر على ديار الإسلام في أرمينية[٥٥]، ولم تذكر بعدها المصادر التاريخية أي هجوم من الطرفين على بعضهم البعض.

ولشدة تحصن الخزر لم يستطع المسلمون دخول شمال القفجاق عن طريق جبل القفجاق لنشر الإسلام، لكنهم لم يستسلموا لهذا الواقع، بل اخذوا بتغيير وجهتهم بالالتفاف حول بحر قزوين ومن ثم التوجه جنوبًا وشمالًا في شمال القفجاق عن طريق إقليم خوارزم في بلاد ما وراء النهر.

وبدأ المسلمون بنشر سراياهم باتجاه بلاد ما وراء النهر وقد فتحت تلك البلاد على مراحل بداية من سنة (٣٠هـ/٦٥٠م) بقيادة الاحنف بن قيس[٥٦]، ولحقتها محاولات أخرى من عبيد الله بن زياد سنة (٥٤هـ/٦٧٤م)، وسعيد بن عثمان بن عفان سنة (٥٦هـ/٦٧٦م)[٥٧]، وآل المهلب سنة (٧٨هـ/٦٩٧م)[٥٨]، ثم اتم الفتوحات لتلك البلاد قتيبة بن مسلم الباهلي، ولاسيما إقليم خوارزم الذي افتتحه سنة (٩٣هـ/٧١١م)[٥٩]، وبالوصول الى إقليم خوارزم اصبح المسلمون على تماس مع شعوب شمال القفجاق، لتأخم إقليم خوارزم لمملكة الخزر والبلغار من جهة الشرق، إلا أن المسلمين لم يدخلوا بجيوشهم الى تلك المناطق وانما اخذوا على عاتقهم حمل الإسلام بطرق أخرى بعيدة عن العمليات العسكرية لفتح تلك المناطق ولعل السبب في ذلك يعود الى سعة المساحة الجغرافية لتلك المناطق وصعوبة مسالكها، وكانت الطرق التي حمل بها الإسلام الى تلك المناطق هي الآتي:

١- التجارة

بعد ان اصطدم المسلمون الفاتحون بجبل القفجاق ودولة الخزر، اصبح من الصعوبة عليهم دخول شمال القفجاق والاستقرار فيه من التخوم الجنوبية، فوجد التجار طريقهم اليه بإقليم خوارزم الواقع الى الشرق من تخوم شمال القفجاق، وأول دخولهم يكون الى دولة البلغار ثم ينتشرون فيها بالبراري والانهار، الى الصقالبة والروس والى دولة الخزر جنوبًا[٦٠].

فقد كانت الطرق التي سلكها تجار المسلمين في نقل البضائع ما بين العالم الإسلامي ودول شمال القفجاق تمر عبر بحر قزوين، الذي كان يعدّ طريقًا بحريًا يربط ما بين المدن الإسلامية الواقعة على سواحله مثل: جرجان وطبرستان وباكو مع دولة الخزر، وكانت الرحلات التجارية متبادلة فيما بينهم[٦١].

وشكّل نهر اتل(الفولغا) أهمية بالغة للتجار المسلمين، فعندما يصلوا الى دولة البلغار يركبون سفنهم عبر نهر اتل، فيذهبون بوساطته جنوبًا الى دولة الخزر وشمالًا الى نهر الدون، ومنه الى مدينة كييف الروسية، ثم الى نهر الدنيبر ومنه الى شبه جزيرة القرم المطلة على سواحل البحر الأسود الشمالية ومنها الى القسطنطينية[٦٢].

وعانى ما عاناه التجار المسلمون في سبيل إيصال الإسلام فضلاً عن ممارستهم التجارة، قاطعين آلاف الاميال حاملين الدعوة الى الإسلام معهم فهو التاجر والسفير والفقيه[٦٣]، ودليل ذلك ما عثر عليه في دول شمال القفجاق من اثار ونقود تعود إليهم[٦٤].

واعتنق البلغار الإسلام في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد بفضل تجار خوارزم الذين كانت تربطهم علاقات تجارية قوية مع البلغار، إن عمليات التبادل التجاري تلك قد دعت أهل

خوارزم أن يجعلوا لهم مستوطنات في دولة البلغار، وقد ذكر بأنهم ((أهل فهم وعلم وفقه وقرآن وأدب، وأقل إمام في الفقه والأدب والقرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمي))[٦٥]، ولعل ما كان يراه أهل البلغار من الصفات والاخلاق التي كان يتحلى بها التاجر المسلم هي ما دعت اهل البلغار إلى اعتناق الإسلام.

وقد وصلت قناعة البلغار بالإسلام ذروتها في نهاية القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد وهو ما ذكرته المصادر الإسلامية بزيادة النشاط التجاري ما بين خوارزم والبلغار[٦٦]، وشدة تأثرهم بالمسلمين ((وأن ثيابهم على غرار ثياب المسلمين، ولهم مقابر شبيهة بمقابر المسلمين))[٦٧].

وسيقت قصة عن اسلام البلغار بأن هناك تاجرًا صالحًا كان فقيهًا وطبيبًا في الوقت نفسه دخل أرض البلغار، فوجد الملك وزوجه مريضين، فاشترط عليهما مقابل علاجهما إن شفيا أن يدخلا الإسلام، فقبلا بذلك الشرط ودخلا الإسلام بعدما شفيا، ودخل معهما الكثير من أهل البلاد في الإسلام، فحاربهم ملك الخزر نتيجة لذلك، إلا أنهم انتصروا على الخزر بعد أن أوصاهم التاجر بأن يكبروا عند اللقاء، واسم ذلك التاجر هو بلار ومعناها رجل عالم فعربها العرب وأصبحت بلغار[٦٨]، إن في هذه الرواية نظر فمن ناحية تسمية البلغار فقد كانت سابقة لوصول المسلمين الى تلك المناطق فعلى اقل تقدير عرف البلغار بهذا الاسم وبشكل صريح منذ القرن السادس للميلاد وهي سابقة لمجيء هذا الرجل، لكن من الممكن الاستئناس بها؛ لدلالتها على دور التجار في نقل الإسلام إلى شمال القفجاق.

وقد طال التجار بلاد الخزر بتجارتهم وكان لهم نصيب وافر في نشر الإسلام هناك[٦٩]، ووصلوا إلى بلاد الروس[٧٠]، مجتهدين؛ لغرض دعوة الناس في تلك المناطق إلى الإسلام.

٢- الهجرة

شهد شمال القفجاق هجرة العديد من المسلمين من أنحاء العالم الإسلامي كافة ، وذكر المسعودي أحد أسباب الهجرة وهو سنين الجدب والوباء التي أصابت إقليم خوارزم في حقبة لم يحددها زمنيًا[٧١]، ولعل العامل المشجع لهجرتهم هو التجار بما كانوا ينقلونه من أخبار عن دول شمال القفجاق ولاسيما الخزر والبلغار إلى العالم الإسلامي، وما متوافر فيها من أمان وتسامح في أمور الدين والعقيدة الذي اشتهر به الترك بصورة عامة، وما موجود من خيرات في تلك البلاد، مما شجع المسلمين ان يهاجروا إليها.

وأول هجرات المسلمين كانت متوجهة الى دولة الخزر، وهم ناقلة عرب من خوارزم، وقد هاجروا الى هناك؛ بسبب الجدب والوباء المار الذكر الذي اصابهم في مدة لم يذكر المؤرخ تاريخها او زمنها، وبعد استقرارهم اطلق عليهم الخزر اسم اللارسية، وقد اشتهروا بالقوة والبأس،

فعرض عليهم ملك الخزر العمل في جيشه، فوافقوا على ذلك على وفق شروط وافق هو عليها بالمقابل وهي اظهار الدين الإسلامي، وبناء الجوامع والمساجد ورفع الاذان بها، وان يكون لديهم وزير منهم، وإن حصلت حرب بين المسلمين والخزر لا يشاركون فيها(٧٢).

إن موافقة ملك الخزر على شروط المسلمين يعدّ نصرًا بحدّ ذاته ودليل على قوة المسلمين في دولة الخزر، ويستشف من هذه الرواية امر مهم اذا ما قورنت مع غيرها من الروايات التاريخية، إذ يتبين او يخمن زمن هجرة اللارسية الى دولة الخزر، فإذا ما علمنا مما ذكرناه سابقًا من اعتناق الخزر لليهودية في عهد الخليفة هارون الرشيد وأن آخر صراع عسكري للخزر مع المسلمين كان أيضًا في عهد الخليفة هارون الرشيد فضلًا عن شروط اللارسية بعدم الاشتراك في الحرب ضد المسلمين، ويمكن القول: إن هجرة اللارسية الى دولة الخزر كانت أيضًا في عهد الخليفة هارون الرشيد.

وفي القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد انتشر المسلمون في انحاء كثيرة في شمال القفجاق وبالأخص في دولتي البلغار والخزر المتأخمتين للعالم الإسلامي(٧٣)، وكان المسلمون في تلك النواحي على المذهب الحنفي والشافعي(٧٤)، والمالكي(٧٥).

وشهد شمال القفجاق هجرة الصنّاع والتجار من العالم الإسلامي الى دولة الخزر وقدّر عددهم بعشرة آلاف مسلم، اسسوا لهم مسجدًا جامعًا كانت منارته تطل على قصر ملك الخزر، وبنوا عدّة مساجد لتعليم ابنائهم القران الكريم(٧٦).

وكان هناك ذكر لمهاجرين من جيلان وبغداد وبلاد المغرب وقد كان المغاربة يعدون بالآلاف ومنتشرين بشكل واسع في دولتي الخزر والبلغار وجزء من أراضي الصقالبة(٧٧)، إن هذه الهجرات لابدّ انها شكلت اندماجًا واختلاطًا كبيرًا مع السكان المحليين ساعد في اعتناق أهالي تلك البلاد للإسلام.

٣- بعثة الخليفة المقتدر بالله الى ملك البلغار

إن عمل التجار وصلاتهم ونشاطهم التجاري المستمر بشمال القفجاق، وما اظهروه من مزايا الإسلام في تعاملهم مع تلك الشعوب، فضلاً عن الهجرات الإسلامية التي استقرت هناك، قد شجعت ملك البلغار الى مراسلة الخليفة المقتدر بالله؛ لغرض اعتناق الإسلام وجعله دينًا رسميًا لدولته.

فقد ارسل ملك البلغار المش بن يلطوار كتابًا رسميًا الى الخليفة العباسي المقتدر بالله يخبره فيه، عن نيته في اعتناق الإسلام ويطلب منه ان يبعث اليه من يفقه بالدين، ويعلمه شرائع

الإسلام، ويبني له مسجدًا ويقيم له منبرًا ليدعو له فيه في بلاده جميعًا ، وطلب منه بناء حصن يتحصن به من اعدائه[٧٨].

وبيّن ملك البلغار بعض الأسباب التي دعته الى الاتصال بالخليفة المقتدر بالله فقد كان الخزر قد استحوذوا على بلاده وفرضوا عليها الضرائب فأراد ان يردعهم بسلطان الخليفة العباسي[٧٩]، وروى ابن فضلان سببًا آخر وهو زواج ابن ملك الخزر بالقوة من ابنة ملك البلغار وهو يهودي وهي مسلمة وهذا لا يجوز[٨٠].

وعلى أساس هذا الطلب شكّل الخليفة المقتدر بالله بعثة على رأسها احمد بن فضلان، وسوسن الرسي، وبارس الصقلبي، وتكين التركي، وهي اسماء تدل على أن اصولهم من تلك المناطق، انطلقت الرحلة سنة (٣٠٩هـ/٩٢٩م)، ودخلت أراضي البلغار سنة (٣١٠هـ/٩٣٠م)، ومرّت البعثة بعدّة مصاعب الى ان وصلت هدفها[٨١]، واستقبلهم ملك البلغار بحفاوة عالية، وبعد استراحتهم اخذ أصحاب البعثة يعلّمون الملك وأهل بلاده شرائع الاسلام، وغيّر اسم الملك من المش بن يلطوار الى جعفر بن عبدالله وممّن اسلم على يد ابن فضلان –بحسب ما ذكر– شخص اسمه طالوت وغيّر اسمه الى محمد وأسلمت معه زوجه وأولاده الذين سمّاهم جميعًا محمدًا، وقد علمه سورتي الفاتحة والإخلاص، وأسلمت على يده جماعة من قبيلة البرنجار يصل عددهم الى خمسة آلاف شخص وعلمهم ما يقرؤونه في صلاتهم[٨٢]، وما كان دور تلك البعثة إلا معززًا لنشر الإسلام في شمال القفجاق ومكملًا لما بداه التجار وزاد من مكانة الإسلام عندهم وتمسكهم به.

٤ – المصاهرات

يعد الزواج والمصاهرة من افضل وسائل الارتباط والاندماج بين المجتمعات وإيجاد صلات التراحم بينهم، وكانت اول المحاولات للدولة الإسلامية في مصاهرة دول شمال القفجاق قد حدثت في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦–١٥٨هـ/٧٥٣–٧٧٤م)، وتحديدًا مع دولة الخزر، حينما أشار على واليه في أرمينية سنة (١٤٢هـ/٧٥٩م)، بأن يتزوج ابنة ملك الخزر؛ حتى تستقيم البلاد –يقصد أرمينية– فوافق الطرفان على ذلك الزواج[٨٣]، وقد أشار عليه بذلك؛ لكثرة ما كانت أرمينية تتعرض له من هجمات من دولة الخزر[٨٤].

والثانية كانت في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠–١٩٣هـ/٧٨٦–٨٠٩م)، بوساطة واليه أيضًا على أرمينية، والتي وافق ملك الخزر عليها[٨٥]، ولم تدم هذه المصاهرات؛ لوفاة بنات ملك الخزر[٨٦]، وبالتمعن في تفاصيل تلك الروايات يلحظ ان القصد من المصاهرة هو؛ لإضفاء السلام بين الطرفين فقط وليتخلص المسلمون من شر دولة الخزر التي كانت تهاجم أرمينيا بشكل

مستمر وتحدث القلاقل فيها، ولم يكن الهدف انتشار الإسلام في تلك المناطق بتلك المصاهرات، فلم تؤثر تلك المصاهرات على الجانب الديني، والدليل على ذلك هو اعتناق الخزر لليهودية في عهد الخليفة هارون الرشيد.

لكن المصاهرات الحقيقية التي خدمت الإسلام والدعوة اليه ما كان يجري من مصاهرات في شمال القفجاق نفسه، وقد اشارت الروايات التاريخية اليها بشكل صريح، مثل: قول ابن فضلان: ((واذا مات المسلم عندهم او زوج المرأة الخوارزمية غسلوه غسل المسلمين... ثم خطوا حوله خطًا ونحوه ثم حفروا داخل ذلك الخط قبره وجعلوا له لحدًا ودفنوه))[٨٧]، وهي إشارة واضحة لمصاهرة اهل خوارزم للبلغار والمقصود هم اهل خوارزم الساكنين في بلاد البلغار.

وذكر الغرناطي انه تزوج منهم بأكثر من امرأة وأنجب البنين والبنات، وأشار الى زواج رجل من بغداد بمرأة صقلبية كان يسكن ارض الصقالبة اسمه عبدالكريم بن فيروز الجوهري[٨٨]، وما هذه الإشارات إلا دلالة على الواقع الاجتماعي الذي كان سائدًا في مجتمعات شمال القفجاق وأن المصاهرات امر طبيعي بين المهاجرين والتجار المسلمين وأهل تلك البلاد، والذي زاد من أواصر العلاقات الاجتماعية معهم وبالتالي خدم الدعوة الإسلامية في تلك المناطق.

٥- الرحالة

ذكرت المصادر الاسلامية العديد من الرحّالة الذين زاروا شمال القفجاق، ولكنها لم تفصح عن اهداف تلك الرحلات او دوافعها او نتائجها بشكل واقعي، وهل كان لها دور في نشر الإسلام ام لا وأغلب الظن انها رحلات استكشافية فقط فلم يذكر أصحاب تلك الرحلات شيئًا عن الإسلام وانتشاره في معرض حديثهم عن رحلاتهم الى شمال القفجاق مثلما ذكر الغرناطي في حديثه اثناء رحلته الى تلك البلاد.

ومن تلك الإشارات رحلة العالم محمد بن موسى الخوارزمي وسلام الترجمان من قبل الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٧م) الى بلاد الخزر وهي في الحقيقة كانت موجهة الى مدينة باب الأبواب وهو ما يتضح بالتقرير الذي قدموه الى الخليفة الواثق ونقلته بعض المصادر الجغرافية فهو توصيف لشعاب جبل القفجاق والسد الواقع على اطرافه [٨٩]، ورحلة مسلم بن ابي مسلم الجرمي في العام نفسه ، وقد زار بلاد الخزر والصقالبة هذا ما ذكرته بعض المصادر الجغرافية، والحقيقة ان ذلك الرجل قدم معلومات مهمة عن سياسة الدولة البيزنطية ومدينة القسطنطية وما يحيط بها من مدن وما يتأخمها من أقاليم بما اكتسبه من معلومات اثناء تجواله في القسطنطينية ثم وقع اسيرًا اثناء ذلك وافتدي في عهد الخليفة الواثق

وعاد الى دياره[٩٠]، ولم يأتِ جميعهم على ذكر شيء عن انتشار الإسلام هناك او مساهمتهم فيه.

وأكثر رحلة واضحة في خدمة الدين الإسلامي وانتشاره في شمال القفجاق هي رحلة الغرناطي، وهو يتكلم عن نفسه في تعليم الناس شرائع الإسلام فيذكر انه وصل الى مدينة غوركومات من ارض الصقالبة فأقام لهم الجمعة وعلمهم الخطبة، وذكر انهم لا يعرفونها[٩١]، بل وتعدّى دوره في نشر الإسلام الى الأراضي التي تلي شمال القفجاق (هنكاريا حاليًا)، وقد علمهم اللغة العربية وفرائض الصلاة وسائر العبادات، وفرائض الحج وعلم المواريث[٩٢].

وأكد ياقوت الحموي اسلام المجريين (هنكاريا)، حينما التقى بمجموعة من المسلمين المجريين في حلب سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٨م) كانوا يتعلمون الدين على مذهب ابي حنيفة، وقد سألهم عن سبب اسلامهم وهم في وسط بلاد الكفر، وقال احدهم: سمعنا من اسلافنا انه جاء الى بلادنا قديمًا سبعة نفر من بلاد البلغار واستقروا في بلادنا، وبينوا لنا ما نحن به من ضلال، ودعونا الى اعتناق الدين الإسلامي فشرح الله قلوبنا للإيمان[٩٣]، وهنا يظهر ان البلغار اصبحوا من متلقين للدين الإسلامي الى رحالة دعاة لنشر الإسلام فيما يليهم من أراضي او دول.

وزار الرحالة ابن بطوطة شمال القفجاق وتحديدًا البلغار وشبه جزيرة القرم وما بينهما من مدن في منتصف القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد[٩٤]، ولم يقدم في رحلته تلك إلا وصفًا حضاريًا عامًا للحياة في شمال القفجاق وبالأخص في شبه جزيرة القرم وما فيها من علماء ومساجد وجوامع للمسلمين ولم يأتِ على ذكر شيء عنه في خدمة نشر الإسلام على غرار ما كتبه الغرناطي في رحلته.

٦- الاسرى و السبايا

كان للحروب التي دخلها المسلمون مع دول شمال القفجاق وبالعكس، أن وقع اسرى وسبايا من الطرفين ومن الروايات التي تحدثت عن الاسر والسبي من طرف المسلمين، إن الخزر هجموا على ارمينية وأذربيجان سنة (٩٦هـ/٧١٤م) واستطاعوا ان يأسروا بعضًا من سكان البلاد[٩٥]، وفي سنة (١١٢هـ/٧٣٠م) كانت الهجمة تحديدًا على مدينة اردبيل في أذربيجان، وأخذوا من أهلها سبايا[٩٦].

وفي المقابل وقع من الخزر اسرى وسبايا، حينما فتح القائد الإسلامي الجراح بن عبدالله الحكمي[٩٧] مدينة بلنجر[٩٨]، وكذلك حينما أعاد فتحها مرة ثانية الأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان[٩٩]، فضلًا عن الاسرى والسبايا الذين وقعوا بيد الأمير مروان بن محمد عند توغله في أراضي الخزر اثناء ولايته على ارمينية[١٠٠].

وفي القرن الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد، جرت العديد من الهجمات الروسية على أراضي المسلمين في أذربيجان ووقع جراءها العديد من المسلمين في الاسر والسبي[١٠١]، ولم تذكر المصادر دور هؤلاء الاسرى في نشر الإسلام سواء اسرى المسلمين عند الخزر والروس او العكس، ولكن الامر قائمًا على التخمين بأن الواقعين في الاسر من المسلمين ربما سنحت لهم الفرصة في دعوة من أسروهم الى الإسلام، وفي المقابل لابدّ ان المسلمين قد عرضوا الإسلام على اسراهم، وقد يجوز ان قسمًا منهم اسلم وعندما عاد لدياره دعا اهله ومن حوله الى الإسلام.

وهذا التخمين يستند الى رواية مفادها ان البجناكية الذين كانوا يشاركون الجيوش البيزنطية في حروبهم ضد المسلمين قد وقع مجموعة من المسلمين في اسرهم في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد وكان احد الاسرى عالمًا وفقيهًا، وعرض الإسلام على طائفة منهم، فأعلنوا اسلامهم ونشروا الدعوة للإسلام في بلادهم الواقعة ما بين الروس وشبه جزيرة القرم كما ذكرنا، فأنكر عليهم من لم يسلم من تلك البلاد، ودخلوا معهم في حرب كانت نهايتها نصرًا للمسلمين وأصبح منهم فيما بعد العلماء والفقهاء[١٠٢].

٧- المغول

تعرض شمال القفجاق الى هجوم المغول في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد وتمكنوا من السيطرة على وسط وجنوب شمال القفجاق[١٠٣]، وسيطروا فيما بعد على الجهة الشمالية، أي: الامارات الروسية[١٠٤].

ولم تمضِ إلا مدة قصيرة وأصبح المغول هم الحامين للإسلام ولاسيما مغول شمال القفجاق فهم أول من أعلن الإسلام من المغول، وقد أسهمت العديد من الأسباب في دخولهم في الإسلام أهمها: هو تأثرهم بحضارة الإسلام، وما لحظوه من حياة مستقرة في بلاد المسلمين وحواضرهم وما فيها من أسواق وخانات وحمامات وقصور وحدائق، تختلف عن حياة البداوة في الحل والترحال التي كانوا يعيشونها[١٠٥]، فضلًا عن اندماجهم في المجتمع الإسلامي بحكم سيطرتهم على أراضيه، واستخدامهم المسلمين في جيوشهم[١٠٦]، والاربطة الصوفية التي وصفها المقدسي والتي كانت منتشرة في نواحي دولة الخزر قبل مجيء المغول[١٠٧]، الأمر الذي أدى إلى دخولهم في الإسلام.

ومن أهم الأسباب في اعلانهم الإسلام دينًا رسميًا لهم في شمال القفجاق هو علماء الدين والطرق الصوفية في خوارزم وشمال القفجاق، والذي ساعد في ذلك هو وقوع الأمير بركة

خان[١٠٨] تحت تأثيرهم واستطاعوا أن يجعلوه يعتنق الإسلام، فتذكر الروايات التاريخية، أنه اعتنق الإسلام منذ طفولته وحفظ القرآن على أحد علماء مدينة خوقند [١٠٩].

ثم تأثر بأصحاب الطريقة الكبراوية[١١٠] وبالذات الشيخ شمس الدين الباخرزي كانت له صلة فيه قبل أن يتولى الملك، وبدأت هذه الصلة في الوقت الذي أرسله أخاه باتوخان لحضور مراسيم جلوس منكوخان مكان جده جنكيزخان على كرسي السلطة، ففي طريق عودته مرّ ببخارى وكان يسمع عن الشيخ شمس الدين الباخرزي، وآثر أن يزوره في زاويته وطلب الاذن بالدخول ولم يأذن له إلا بعد مرور ثلاثة أيام شأن الشيوخ في امتحان مريديهم، وبعدها سمح له بالدخول وجدد بركة خان اسلامه على يده، وعاهده على اعلان الإسلام وإدخال من هم في رعيته إلى الإسلام[١١١].

وأعلن بركة خان الدين الإسلامي دينا رسميًا لدولته في شمال القفجاق وكان عادلًا طيلة مدّة حكمه ومتمسكًا بالدين الإسلامي، واهتم بالعلماء والفقهاء، وبنى العديد من المدارس والمساجد، ودافع عن الإسلام وقاتل أعداءه من المغول؛ لرفضهم اسلامه، توفي سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) ، وخلفه في الحكم ابن أخيه منكو تمرخان وسار على منواله[١١٢].

وظل المغول على دفاعهم عن الإسلام في شمال القفجاق من بعد بركة خان إلى أن وصل عصره الذهبي في عهد آخر خانات دولة القفجاق المغولية في منتصف القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، عصر الخان أوزبك الذي قضى على كلّ من يناوئ الإسلام فكل من عقبه على الحكم كان مسلمًا، وقطع أمل المسيحية وغيرها من الديانات ومحاولاتها لإجهاض الدين الإسلامي في تلك البلاد[١١٣].

سادسًا- أثر الإسلام في شمال القفجاق

إن الدين الإسلامي دين عالمي، أينما حلَّ ترك أثرًا واضحًا على معتنقيه في كل مكان، وعرف عن المسلمين أنهم أثروا بحضارتهم على العالم بأجمعه آنذاك، ترك اعتناق الإسلام في شمال القفجاق أثرا سياسيًا ولاسيما لدى البلغار، فقد كان قرار اعتناقهم للإسلام قد خلصهم من نير العبودية التي كانوا يشعرون بها من قبل دولة الخزر المجاورة لهم وهو ما يتضح في قول الملك أن يبني له حصنًا يمتنع به عن اليهود الذين استعبدوه، والمقصود هنا هم الخزر، وأنه كان يدفع لهم ضريبة سنوية عن كل بيت في دولته جلد سمور.[١١٤]

ومن الناحية الدينية فقد انتشرت الجوامع والمساجد في معظم بلاد شمال القفجاق، والتي تمثل جانبين في أثرها دينيًا ومعماريًا، فلابدّ أن تلك الجوامع والمساجد بنيت على الطراز

الإسلامي، وقد ذكرت المصادر الإسلامية بناء المساجد وتكاد لا تخلو مدينة منها في شمال القفجاق ولاسيما في دولتي الخزر والبلغار.[١١٥]

وأثر في التزامهم بفرائض الإسلام وشرائعه، فقد التزموا بالصلاة وأدّوا فريضة الحج، وطريقهم كان إلى بغداد ومنها إلى بلاد الحجاز[١١٦]، فضلًا عن تعلمهم لنظام المواريث الإسلامي، فقد يرث الرجل أخاه دون ولده، فأخبر ابن فضلان ملك البلغار بعدم جواز هذا الأمر فأخبرته بنظامها في الإسلام حتى فهمها[١١٧].

وظهر العديد من العلماء والادباء على إثر انتشار الإسلام في شمال القفجاق، من أهالي بلغار والخزر منهم من كان ماهرًا في العلوم الشرعية ومنهم في العلوم العقلية وفي علوم اللغة والأدب[١١٨].

ومن الناحية الاجتماعية كان الأثر في مناحٍ شتّى فقد تأثر سكان شمال القفجاق بالملابس الإسلامية بوساطة التجار والمهاجرين الذين استقروا هناك، وقد ذكرت المصادر الإسلامية أن ملابسهم شبيهة بملابس المسلمين[١١٩]، مثل القراطق[١٢٠] التي تحمل إليهم من بلاد الإسلام والروم[١٢١]، ولبسوا القلانس[١٢٢].

وتأثروا بالأسماء العربية الإسلامية، وهو ما نلحظه من طلب ملك البلغار من ابن فضلان أن يغير اسمه واسم أبيه فأطلق عليه اسم جعفر بدل آلمش واسم والده عبدالله بدل يلطوار، وتغييره لاسم طالوت وابنائه إلى اسم محمد[١٢٣]، وانتشرت الأسماء الإسلامية فيما بعد فقد جاء اسم الملوك من بعد جعفر أحمد وطالب[١٢٤].

وذكرت المصادر مراسيم دفن الميت وإن مقابرهم شبيهة بمقابر المسلمين[١٢٥]، ((فإذا مات المسلم أو زوج الخوارزمية غسلوه غسل المسلمين، وبعد انتهائهم يحملوه على عجلة تجره حتى يصيروا إلى مكان دفنه، فيضعونه على الأرض، ثم خطوا حوله فيحفرون حول ذلك الخط قبره وجعلوا له لحدًا ودفنوه))[١٢٦].

وكان للتجارة المتواصلة ما بين التجار المسلمين وبلاد شمال القفجاق أثر في تغيير العرف القائم على نظام المقايضة في بيع وشراء السلع التجارية، وكان الدلق، أي: جلد السمور[١٢٧] هو المتعارف عليه كوسيلة لشراء حاجاتهم، وعندما جاء التجار المسلمين استبدل هذا النظام بإدخال النقود الإسلامية كوسيلة للتبادل التجاري وقد قبل بها أهل شمال القفجاق[١٢٨].

ولابدّ أن يكون للحرفيين والصناع الذين هاجروا الى شمال القفجاق دور في نقل ما تعلموه في بلادهم وتعليمه لسكان تلك المناطق، وهم بذلك نقلوا الحضارة الإسلامية إلى هناك كلّ بحسب اختصاصه في العمل.

الخاتمة

١. كان للتجارة دور مميز في نشر الإسلام في بعض دول شمال القفجاق.
٢. كان للموقع الجغرافي أثر بالغ في تحديد المدن والدول التي انتشر فيها الإسلام، فقد كان أكثر انتشار الإسلام في دولتي الخزر والبلغار وقسم من مدن الصقالبة القريبة من دولة البلغار، والسبب في ذلك؛ قرب هاتين الدولتين من تخوم الدولة الإسلامية من جهة الجنوب ومن جهة الشرق كانت خوارزم، التي لها الدور الأساس في نشر الدين الإسلامي في شمال القفجاق.
٣. اغفال المصادر الإسلامية عن ذكر الإسلام عند الروس والسبب في ذلك يعود الى امرين الأول البعد الجغرافي عن أراضي الدولة الإسلامية، والثاني اختيار الروس للديانة المسيحية دينًا رسميًا لهم وللصقالبة الذين اندمجوا معهم في دولة واحدة.
٤. حقق اعتناق البلغار للدين الإسلامي وتأثرهم فيه، استقلالًا سياسيًا عن دولة الخزر بعدما كانت مسيطرة عليهم وتدفع لهم الضرائب.
٥. قطع انتشار الإسلام الطريق على الدولة البيزنطية في كسب شعوب شمال القفجاق الى جانبها.
٦. انتشرت في شمال القفجاق العديد من الديانات، مثل: الوثنية والمسيحية واليهودية والإسلام، كان الجانب السياسي له دور فاعل في انتشار ديانة على حساب أخرى، وقد أسهم التسامح الذي اتصف به الترك بصورة عامة في انتشارها.
٧. كان لانتشار الإسلام أثر بالغ في شمال القفجاق فقد اطرأ عدّة متغيرات على عادات وتقاليد شعوبه وحياتهم السياسية والاقتصادية.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 10, Issue 34-1, Nov 2023
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

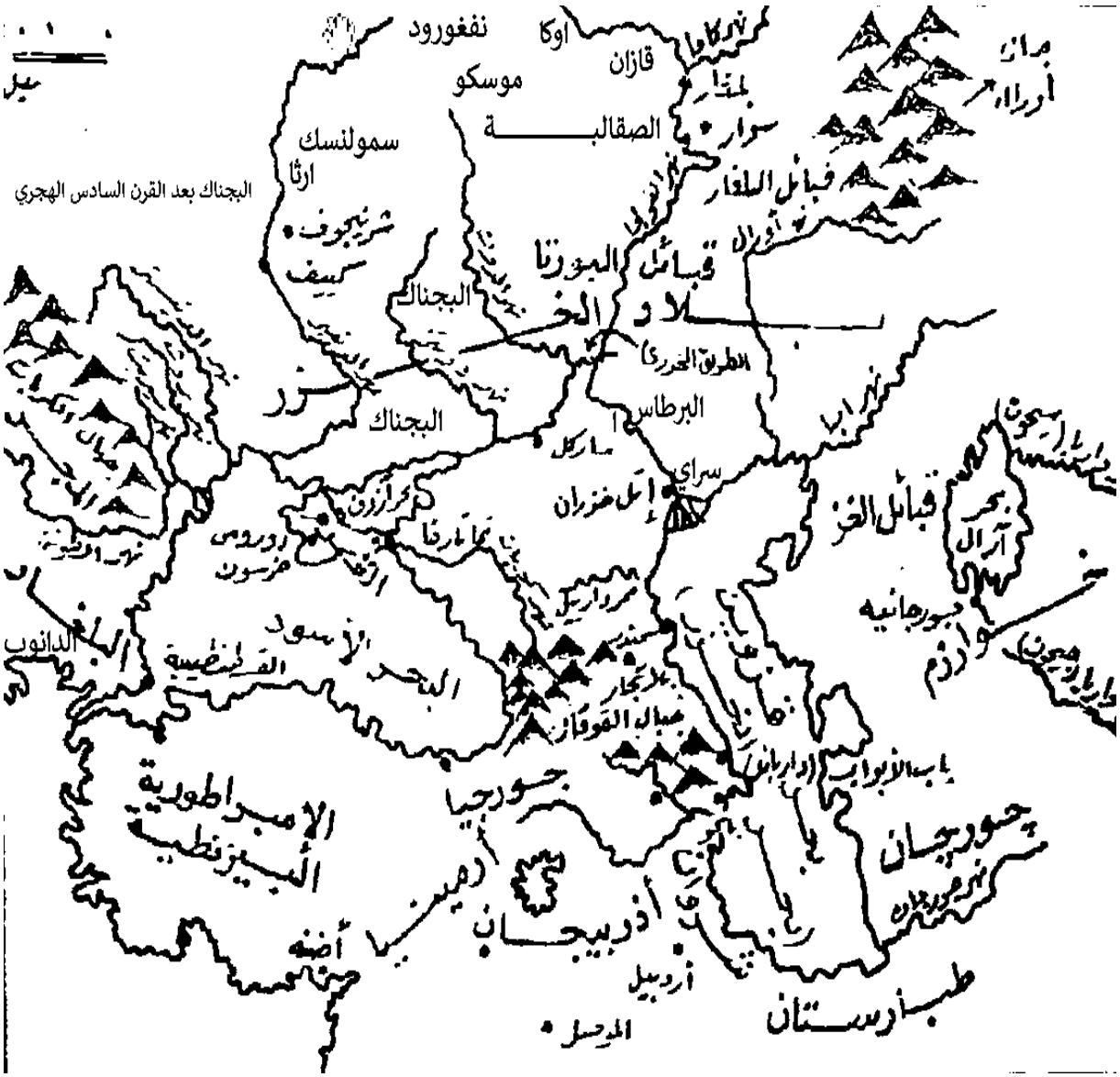

خارطة شمال القفجاق نقلًا عن: ارثر كويستلر، امبراطورية الخزر وميراثها – بتصرف

خارطة تبين طرق التجارة في شمال القفجاق نقلًا عن: طارق منصور محمد، الروس والمجتمع الدولي – بتصرف

الهوامش

References

(١) البار، محمد علي، قبل الارثوذكسية كان الاسلام في روسيا، دار كنوز المعرفة (جدة، ٢٠١٠م)، ص٢٢٩.

(٢) عزت، يوسف، تاريخ القوقاز، تعريب: عبد الحميد غالب، مطبعة عيسى البابي وشركائه (استنبول، ١٩١٢م)، ص٧٣.

(٣) البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، بإشراف: لجنة تحقيق التراث، دار مكتبة الهلال (بيروت، ١٩٨٣م)، ص١٩٦؛ ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ / ١٩١٢م)، المسالك والممالك، دار صادر (بيروت، ١٨٨٩م)، ص١٢٣؛ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، ط١ (بيروت، ٢٠٠٠م)،١/١٨٨؛ الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد، (ت٣٤٦هـ /٩٥٧م)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، مراجعة: محمد شفيق غربال، تقديم: عبدالعال عبدالمنعم الشامي، دار الذخائر (القاهرة، ٢٠٠٤م) ص١٠٨؛ المهلبي، الحسن بن احمد (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، دار التلوين، ط١ (دمشق، ٢٠٠٦م)، ص٦٠.

(٤) شهاب الدين ابو عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، ط٢ (بيروت، ١٩٩٥م)، ٣/ ٢٤.

(٥) البكري، ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٩٩٢م)، ٢/٢٣؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١ (بيروت، ١٩٩٧م)، ٨/٥٣؛ العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، منشورات المجمع الثقافي (أبو ظبي، ٢٠٠٢م)، ٣/١١٥؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحاذة، دار الفكر، ط٢ (بيروت، ١٩٨٨م)، ١/٩٩؛ القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الأنشى، دار الكتب العلمية (بيروت، د. ت)، ١/٤٢٠.

(٦) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن إبراهيم (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية (الرباط، ١٩٩٦م)، ص٣٢١؛ الرمزي، م. م (ت ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م)، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، قدمه وعلق عليه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١(بيروت، ٢٠٠٢م)، ص١/٢١٦.

(٧) رمزي بك، احمد، القفجاق، بحث منشور في مجلة الرسالة، العدد ٧٢٤، (القاهرة، ١٩٤٧م)، ص ١٣.

(٨) عزت، تاريخ القوقاز، ص١١.

(٩) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٣٠؛ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، مطبعة ليدن، ط٢ (ليدن،١٩٣٨م)، ص٣٩٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/٨٨.

(١٠) جعفر، قدامة بن (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد (بغداد، ١٩٨١م)، ص١٩٣.

(١١) مجهول، مؤلف (ت ٣٧٢هـ/٩٨٢م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر (القاهرة، ١٩٩٩م)، ص١١١؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٤٢٠/٥.

(١٢) مجهول، حدود العالم، ص١٩٣؛ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٠٦/٤؛ ابن العبري، غريغوريوس ابن هارون بن توما (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطوان صالحاني اليسوعي، دار الشرق، ط٣ (بيروت، ١٩٩٢م)، ص٥٧.

(١٣)إبسيس، نوارة علي، الإمارات الروسية وعلاقتها الخارجية في العصور الوسطى في الفترة ما بين القرنين التاسع والحادي عشر، دار الكتب الوطنية (بنغازي، ٢٠٠٨م)، ص٤٠.

(١٤) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبدالمنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، دار إحياء التراث العربي (القاهرة، ١٩٦٠م)، ص٣٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٦/٣؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، ١٩٦٠م)، ص٦١٤؛ العمري، مسالك الابصار،٢٤/٣.

(١٥) بورفيروجنتوس، قسطنطين السابع، (ت٣٤٨هـ/٩٥٩م)، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق: محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية (بيروت، ١٩٨٠م)، ص١٠٥.

(١٦) المسعودي، مروج الذهب، ٣٥/٢، بورفيروجنتيوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية،ص١٠٥-١٠٦.

(١٧) للمزيد من التفاصيل عنهم ينظر عماد كامل مرعي، العلاقات العربية الخزرية حتى نهاية العصر العباسي الاول، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، ٢٠٠٣م).

(١٨) للمزيد من التفاصيل عنهم ينظر عماد كامل مرعي، دولة البلغار الاسلامية في شمال القفقاس، بحث منشور في مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، مج٨، ع٣، ٢٠١٢م.

(١٩) بورفيرو جنتيوس، ادارة الامبراطورية البيزنطية، ص١٣٦-١٣٨.

(٢٠) البكري، ابو عبيد عبد الله (ت٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، جغرافيا الاندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، ط١، دار الارشاد (بيروت، ١٩٧٨م)، ص١٧٩-١٨٠.

(21)Vernadsky, George, Ancient Russia, Yale univ (press, 1952), p.4-5.

(٢٢) مجهول، حدود العالم، ص١١١؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٤٢٠/٥.

(٢٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ٤٥٤/٤؛ الرمزي، تلفيق الاخبار، ٢١٥/١-٢١٦.

(٢٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ٤٥٦/٤.

(٢٥) النويري، أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط١ (القاهرة، ١٤٢٣هـ)، ٣٢١/٢٧-٣٢٢.

٢٦ () الشامانية : دين بدائي من اديان اسيا ينماز باعتقاد وجود عالم محجوب هو عالم الالهة والشياطين وارواح السلف، الشيخ، محمد محمد، الخزر وعلاقتهم بالامبراطورية البيزنطية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، الرياض، العدد (٤)، لسنة (١٩٨٠)، هامش (١)، ص ٣٥٠ .

[٢٧] صفوة، نجدة فتحي، العرب في الاتحاد السوفيتي ودراسات أخرى في العلاقات التاريخية والثقافية بين العرب والروس، مكتبة آفاق عربية (بغداد، ١٩٨٤م)، ص٢٣.

[٢٨] مرعي، العلاقات العربية الخزرية، ص١٩.

[٢٩] ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، الأعلاق النفيسة، دار صادر (بيروت، ١٨٩٣م)، ص١٤٢-١٤٤؛ مجهول، حدود العالم، ١٨٧؛ المسعودي، اخبار الزمان، دار الاندلس(بيروت، ١٩٩٦م)، ٩٢-٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٦٨/٢؛ الرمزي، تلفيق الاخبار، ٢٠٧/١.

[٣٠] الجرديزي، أبوسعيد عبد الحي بن الضحاك (ت ٦٨٣هـ/١٠٥١م)، زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص٣٩٣.

[٣١] المسعودي، اخبار الزمان، ص٩٢-٩٣؛ المهلبي، المسالك والممالك، ص٥٩.

[٣٢] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٤؛ القزويني، اثار البلاد، ص٥٨٦.

[٣٣] ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٤٦-١٤٧؛ مجهول، حدود العالم، ص١٨٩؛ الجرديزي، زين الاخبار، ص٣٩٥.

[٣٤] ابن فضلان، أحمد (ت ٣٠٩هـ/٩٢١م)، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، دار السويدي (أبو ظبي، ٢٠٠٣م)، ص١٠٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ١٩٠/٢.

[٣٥] بروفيرو جنتيوس، ادارة الامبراطورية البيزنطية، ص٦٢.

[٣٦] دنلوب، د . م، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، دار حسان (دمشق، ١٩٩٠م)، ص٩٧.

[٣٧] المسعودي، مروج الذهب، ٣٣/٢.

[٣٨] الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٣٢؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٩٧.

[٣٩] بروفير وجنتيوس، ادارة الامبراطورية البيزنطية، ص٣٣.

[٤٠] ابن الاثير، الكامل، ٤١٠/٧.

[٤١] المروزي، شرف الزمان طاهر (من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي)، أبواب في الصين والترك والهند من كتاب طبائع الحيوان (لندن، ١٩٤٢م)، ص٢٣؛ ابن الاثير، الكامل، ٤١٠/٧.

[٤٢] الانطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٧م)، تاريخ الانطاكي، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، جروس برس (لبنان، ١٩٩٠م)، ص١٦٨؛ ابن الاثير، الكامل، ٤١٠/٧.

[٤٣] المسعودي، مروج الذهب ١٩١/١؛ الدمشقي، شمس الدين محمد بن أبي طالب (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايبزك، ١٩٢٨م)، ص٢٦٣؛ الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ط٢ (بيروت، ١٩٨٠م)، ص٣٢٤.

[٤٤] نجدة صفوة، العرب في الاتحاد السوفيتي، ص٢٠؛ كويستلر، آرثر، إمبراطورية الخزر وميراثها، ترجمة: حمدي متولي مصطفى، لجنة الدراسات الفلسطينية (دمشق، ١٩٧٨م)، ص٨٤.

(٤٥) المسعودي، مروج الذهب، ١٩٢/١.

(٤٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٧، ٣٠٥، ٣٢١-٣٢٢.

(٤٧) عباس، سهاد فاضل، الحياة العلمية في القوقاز، دار غيداء(عمان، ٢٠١٩م)، ص ١٠٤-١٠٥.

(٤٨) فيصل، شكري، حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول، دار الكتاب العربي (القاهرة، ١٩٥٢)، ص٢٠٣-٢٠٥.

(٤٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٦-١٩٧؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف للنشر (القاهرة، ١٩٦٧م)، ٢٤٦/٤.

(٥٠) الطبري، تاريخ الرسل، ٢٤٧/٤-٢٤٨..

(٥١)() باب الابواب: وهي مدينة تقع ما بين بحر الخزر وجبل القفجاق بناها كسرى انو شروان وجعل لها سورًا له عدة ابواب يمتد من البحر الى الجبل؛ ليصد خطر الخزر وقبائل الترك التي تلي جبل القفجاق، المسعودي، مروج الذهب، ١٨٨/١.

(٥٢) الطبري، تاريخ الرسل، ٤ / ١٥٥-١٥٦؛ ابن الاثير، الكامل، ٤١٠/٢.

(٥٣) للمزيد عن هذهِ الحملات والفتوحات ينظر، مرعي، عماد كامل، العلاقات العربية الخزرية.

(٥٤) على سبيل المثال لا الحصر، د . م ، دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة وتقديم : سهيل زكار، دار حسان (دمشق، ١٩٩٠م)؛ كويستلر، ارثر، امبراطورية الخزر وميراثها، ترجمة: حمدي متولي مصطفى، لجنة الدراسات الفلسطينية (دمشق، ١٩٧٨م).

(٥٥) الطبري، تاريخ الرسل، ٦٧٤/٤؛ ابن الأثير، الكامل، ٣٣١/٥.

(٥٦) ابن خياط، أبو عمر خليفة الشيباني (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٩٩٥م)، ص٩٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٩٤.

(٥٧) ابن خياط، تاريخ خليفة، ص١٣٧-١٣٨.

(٥٨) ابن خياط، تاريخ خليفة، ص١٧٥.

(٥٩) الطبري، تاريخ الرسل، ٤٢٩/٦-٤٤٥؛ ابن الأثير، الكامل، ٤٦/٤-٥٠.

(٦٠) المسعودي، مروج الذهب، ١٩٤/١؛ الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد (ت ٥٦٠هـ/١١٦٦م)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية (د/م: ٢٠٠٢م)، ٩١٩/٢.

(٦١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٢٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ١٩٧/١؛ الحميري، الروض العطار، ص١١.

(٦٢) لومبارد، موريس، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، دار الفكر، ط٢ (بيروت، ١٩٩٨م) ، ص٣٠٢.

(٦٣) فرانك، ايرين وديفيد براوتستون، طريق الحرير، ترجمة: أحمد محمود، المركز القومي للترجمة، ط٢ (القاهرة، ٢٠٠٩م)، ص٥٢.

(٦٤) بارتولد، فاسيلي فلاديمير، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٩٦م) ، ص٨٣؛ لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دار هنداوي (القاهرة، ٢٠١٦م)، ص٥٧٩.

(٦٥) المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، حررها وقدم لها، شاكر لعيبي، دار السويدي والمؤسسة العربية للدراسات، ط١ (ابو ظبي، بيروت، ٢٠٠٣م)، ص٢٥٣.

(٦٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩٢و٣٩٦.

(٦٧) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٤١-١٤٢.

(٦٨) الغرناطي، أبو حامد عبدالرحيم بن سليمان (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م)، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، قدم لها: قاسم وهب، دار السويدي والمؤسسة العربية للدراسات، ط١(بيروت، ٢٠٠٣م)، ص١٣٠.

(٦٩) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٣٠؛ القزويني، أثار البلاد، ص٥٩٩.

(٧٠) مجهول، حدود العالم، ص١٩٠.

(٧١) المسعودي، مروج الذهب، ١٩٢/١.

(٧٢) المسعودي، مروج الذهب، ١٩٢/١.

(٧٣) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٤١؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٣٠؛ مجهول، حدود العالم، ص١٩٧-١٩٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٩٠ و ٣٩٦.

(٧٤) القزويني، اثار البلاد، ص٥٩٩.

(٧٥) الغرناطي، تحفة الالباب، ص١٢٦.

(٧٦) المسعودي، مروج الذهب، ١٣٩/١.

(٧٧) الغرناطي، تحفة الالباب، ص١٢٦ و ١٣٧.

(٧٨) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٨٣ و ٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٨٦/١.

(٧٩) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٨٠.

(٨٠) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٩٩.

(٨١) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٧٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٨٦/١.

(٨٢) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٨٠ و ٩٣.

(٨٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٠٧.

(٨٤) للمزيد من التفاصيل عن تلك الحروب ينظر: مرعي، العلاقات العربية الخزرية، الفصل الثاني والثالث.

(٨٥) الطبري، تاريخ الرسل، ٢٦٩/٨؛ ابن الاثير، الكامل، ٣٢٧/٥.

(٨٦) الطبري، تاريخ الرسل، ٢٦٩/٨؛ ابن الاثير، الكامل، ٣٢٧/٥.

(٨٧) رسالة ابن فضلان، ص٩٨.

(٨٨) تحفة الالباب، ص١٢٦ و ١٣٧.

(٨٩) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٦٢-١٧٠؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص٣٠٥-٣٠٧.

(٩٠) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٠٥-١١٠؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، التنبيه والإشراف، تصحيح ومراجعة: عبدالله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي (القاهرة، د. ت)، ص١٦٢.

(٩١) الغرناطي، تحفة الالباب، ص١٣٧،

(٩٢) الغرناطي، تحفة الالباب، ص١٣٩.

(٩٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٢٣/١.

(٩٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ٣٢٢/٢.

(٩٥) الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، دول الإسلام، تحقيق: حسن اسماعيل مروة، قدم له: محمود الارناووط، دار صادر، ط٢ (بيروت: ٢٠٠٦م)، ٨٥/١.

(٩٦) الطبري، تاريخ الرسل، ٧٠/٧؛ ابن الاثير، الكامل، ١٩٩/٤.

(٩٧) الجراح بن عبدالله الحكمي: ولي البصرة في زمن الحجاج بن يوسف، ثم ولي خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وهو دمشقي نزل البصرة والكوفة، وكان بطلا شجاعا عابدا قارئا كبير القدر، استخلف على ولاية العراق من قبل يزيد بن المهلب، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، اشرف على تحقيقه: شعيب الارنووط، مؤسسة الرسالة (بيروت، د. ت)، ١٨٩/٥.

(٩٨)الطبري، تاريخ الرسل، ١٤/٧؛ ابن الاثير، الكامل، ١٥٥/٤.

(٩٩) الطبري، تاريخ الرسل، ٨٨/٧؛ ابن الاثير، الكامل، ١٨٦/٤.

(١٠٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٠٦؛ ابن الاثير، الكامل، ٢٤٤/٤.

(١٠١) للمزيد من التفاصيل عن تلك الحملات ينظر: ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط٢ (طهران، ٢٠٠٠م).

(١٠٢) البكري، المسالك والممالك، ٢٣/٢؛ الرمزي، تلفيق الاخبار، ٢٠٧/١-٢٠٨.

(١٠٣) الرمزي، تلفيق الاخبار، ٣٠٨/١-٣٠٩.

(١٠٤) الرمزي، تلفيق الاخبار، ٣٧٣/١.

(١٠٥) القلقشندي، صبح الاعشى، ٣١٤/٤-٣١٦.

(١٠٦) أرنولد، سير توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة (القاهرة، ١٩٧١م)، ص٢٥٩.

(١٠٧) احسن التقاسيم، ص٣١٠.

(١٠٨) بركة خان: هو بركة خان بن جوجي بن جنكيز خان وهو اول من اسلم من امراء المغول في بلاد القفجاق، العمري، مسالك الابصار، ١٨٢/٣.

(١٠٩)الرمزي، تلفيق الاخبار، ٣٩٨/١-٤٠٠.

(١١٠)الطريقة الكبراوية: وهي طريقة صوفية مقرها مدينة بخارى وكان صاحبها نجم الدين كبرا أبو الجناب احمد بن عمر، العمري، مسالك الأبصار، ١١٥/٣.

(١١١) الرمزي، تلفيق الاخبار، ٤٠٠/١.

(١١٢)عبدالحليم، رجب محمد، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية (د. م: د. ت)، ص١٢٣.

(١١٣) الرمزي، تلفيق الاخبار، ١/٥١٦-٥٢٤.

(١١٤) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٤٠؛ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٨٠ و ٩٩,

(١١٥) المسعودي، مروج الذهب، ١/١٩٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩٦.

(١١٦) ابن الاثير، الكامل، ٨/٣١.

(١١٧) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٨٧.

(١١٨) للمزيد من التفاصيل عن العلم والعلماء ينظر: الرمزي، تلفيق الاخبار، ١/٦٨٩-٧٢٣، ٢/٣٣٤-٤١٥.

(١١٩) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٤٢.

(١٢٠) القرطق: هو سترة أو قميص قصير يسبل على الكتفين وتنساب حتى وسط الجسم، دوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: اكرم فاضل، دار العربية للموسوعات، ط١ (بيروت، ٢٠١٢م)، ص٣١٩.

(١٢١) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٣١؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩٤-٣٩٥.

(١٢٢) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٨٧؛ والقلانس: مفردها قلنسوة وهي غطاء الراس، دوزي، المعجم المفصل، ص٣٢٤.

(١٢٣) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٨٠و٩٣.

(١٢٤) الرمزي، تلفيق الاخبار، ١/٣٠٣.

(١٢٥) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٤٢.

(١٢٦) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٤٢؛ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص٩٨.

(١٢٧) السمور: حيوان بري يشبه السنور، وزعم بعض الناس انه النمس، وهو من فصيلة الثعالب ويستفاد من فرائه، الدميري، كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر (بيروت، د / ت)، ١/١١٩ .

(١٢٨) ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص١٤٢.

ترجمة المصادر والمراجع العربية:

First - the sources

Ibn Al-Atheer, Abu Al-Hassan Ali bin Abi Al-Karam Muhammad bin Muhammad (d. 630 AH / 1232 AD), Al-Kamil in History, investigation: Omar Abd Al-Salam Tadmury, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1st edition (Beirut, 1997 AD).

Al-Idrisi, Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad (d. 560 AH / 1166 AD), Nuzhat al-Mushtaq fi Intekrak al-Afaq, Religious Culture Library (D / M: 2002 AD).

Al-Istakhari, Abu Ishaq Ibrahim bin Muhammad, (d. 346 AH / 957 AD), Al-Masalik and Kingdoms, Investigation: Muhammad Jaber Abal-Al, review: Muhammad Shafiq Gharbal, presented by: Abdel-Al Abdel-Moneim al-Shami, Dar Al-Dhakhaer (Cairo, 2004 AD) .

Antioch, Yahya bin Saeed bin Yahya (d. 458 AH / 1067 AD), The History of Antioch, edited by: Omar Abdel Salam Tadmury, Gross Press (Lebanon, 1990 AD).

Al-Bakri, Abu Ubaid Abdullah bin Abdul Aziz bin Muhammad (d. 487 AH / 1094 AD), Al-Masalik and Kingdoms, Dar Al-Gharb Al-Islami (Beirut, 1992 AD.

The geography of Andalusia and Europe from the Book of Tracts and Kingdoms, investigation: Abd al-Rahman al-Hajji, 1st edition, Dar al-Irshad (Beirut, 1978 AD).

Al-Baladhuri, Ahmed bin Yahya (d. 279 AH / 892 AD), Futouh Al-Buldan, Under the supervision of the Heritage Investigation Committee, Dar Al-Hilal Library, 1st edition (Beirut, 1988 AD).

Ibn Battuta, Muhammad bin Abdullah bin Ibrahim (d. 779 AH / 1377 AD), Ibn Battuta's Journey called The Watcher's Masterpiece in the Curiosities of Countries and the Wonders of Travels, Academy of the Kingdom of Morocco (Rabat, 1996 AD).

Porphyrogentus, Constantine VII, (d. 348 AH / 959 AD), Administration of the Byzantine Empire, presentation, analysis and commentary: Mahmoud Saeed Omran, Dar Al-Nahda Al-Arabiya (Beirut, 1980 AD).

Al-Dumairi, Kamal Al-Din, The Great Life of the Animal, Dar Al-Fikr (Beirut, d/d).

Al-Jardizi, Abu Sa`id Abd al-Hay ibn al-Dahhak (d. 683 AH / 1051 CE), Zain al-Akhbar, translated by: Afaf al-Sayyid Zaidan, The Supreme Council of Culture (Cairo, 2006 CE).

Jaafar, Qudamah (d. 320 AH / 932 AD), the abscess and the writing industry, investigation: Muhammad Hussein Al-Zubaidi, Dar Al-Rashid (Baghdad: 1981 AD).

Al-Hamwi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut (d. 626 AH / 1228 AD), Mu'jam al-Buldan, Dar Sader, 2nd Edition (Beirut, 1995 AD).

Al-Humairi, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Abdul-Moneim (d. 900 AH / 1494 AD), Al-Rawd Al-Matar in the news of the countries, investigation: Ihsan Abbas, Nasser Foundation for Culture (Beirut, 1980 AD).

Ibn Hawqal, Abu al-Qasim al-Nusaibi (d. 367 AH / 977 CE), Sourat al-Ard, Leiden Press, 2nd edition (Leiden, 1938 CE).

Ibn Khordadbeh, Abu al-Qasim Ubaidullah bin Abdullah (d. 300 AH / 1912 AD), Al-Masalik and Al-Mamlak, Dar Sader (Beirut, 1889 A)D.

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman bin Muhammad (d. 808 AH / 1405 CE), The History of Ibn Khaldun, investigation: Khalil Shazadeh, Dar Al-Fikr, 2nd Edition (Beirut, 1988 AD).

Ibn Khayyat, Abu Omar Khalifa Al-Shaibani (d. 240 AH / 854 AD), History of Khalifa bin Khayyat, Reviewed, documented, annotated, and indexed by: Mustafa Najib Fawaz and Hikmat Kashli Fawaz, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st edition (Beirut, 1995 AD).

Al-Dimashqi, Shams al-Din Muhammad ibn Abi Talib (d. 727 AH / 1326 CE), The Elite of Time in Wonders of Land and Sea (Leipzig, 1928 CE).

Al-Dinori, Abu Hanifa Ahmed bin Dawood (d. 282 AH / 895 CE), long news, investigation: Abdel Moneim Amer, review: Jamal Al-Din Al-Shayal, House of Arab Book Revival, Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners (Cairo, 1960 AD).

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad (d. 748 AH / 1347 CE), Countries of Islam, Verified by: Hassan Ismail Marwa, presented by: Mahmoud Al-Arnaout, Dar Sader, 2nd edition (Beirut, 2006 AD).

Ibn Rustah, Abu Ali Ahmed bin Omar (d. 290 AH / 902 AD), Al-Alaq Al-Nafisa, Dar Sader (Beirut, 1893 AD).

Ramzy, M. M (d. 1130 AH / 1717 AD), fabricating news and fertilizing traces in the facts of Qazan, Bulgar, and the Tatar kings, presented, commented on, and put in its indexes: Ibrahim Shams Al-Din, Muhammad Ali Baydun Publications, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 1st edition (Beirut, 2002 AD).

Al-Tabari, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir (d. 310 AH / 922 AD), History of the Messengers and Kings, investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maarif for Publishing (Cairo, 1967 AD).

Ibn al-Abri, Gregory Ibn Harun Ibn Touma (d. 685 AH / 1286 AD), A Brief History of Countries, investigation: Antoine Salhani Al-Yasoui, Dar Al-Sharq, 3rd edition (Beirut: 1992 AD).

Al-Omari, Ahmed bin Yahya bin Fadlallah (d. 749 AH / 1348 AD), Pathways to Visions in the Kingdoms of Al-Amsar, Publications of the Cultural Foundation (Abu Dhabi, 2002 AD).

Al-Gharnati, Abu Hamid Abd al-Rahim bin Suleiman (d. 565 AH / 1169 AD), the masterpiece of hearts and the elite of admiration, submitted to it: Qasim Wahb, Dar Al-Suwaidi and the Arab Institute for Studies, 1st edition (Beirut, 2003 AD).

Al-Qazwini, Zakaria bin Muhammad bin Mahmoud (d. 682 AH / 1283 AD), Antiquities of the country and news of the servants, Dar Sader (Beirut, 1960 AD).

Ibn Fadlan, Ahmed (d. 309 AH / 921 AD), Ibn Fadlan's Journey to the Land of the Turks, Russians, and Saqalaba, Dar Al-Suwaidi (Abu Dhabi, 2003 AD).

Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali (d. 821 AH / 1418 AD), Sobh Al-Asha in Sinaat Al-Ansha, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya (Beirut, d / T).

Anonymous, author (d. 372 AH / 982 CE), the borders of the world from the East to the West, Investigation and translation: Youssef Al-Hadi, Al-Dar Al-Thaqafa (Cairo, 1999 AD).

Al-Marwazi, Sharaf al-Zaman Taher (from the sixth century AH, the twelfth century AD), chapters on China,Turks, and India from the Book of Nature of Animals (London, 1942 AD).

Al-Masoudi, Abu Al-Hassan Ali Bin Al-Hussein (d. 345 AH / 956 AD), promoter of gold and minerals of essence, investigation and commentary: Saeed Muhammad Al-Lahham, Dar Al-Fikr, Edition (Beirut, 2000 AD).

Warning and supervision, warning and supervision, correction and review: Abdullah Ismail Al-Sawy, Dar Al-Sawy (Cairo, d / T).

Akhbar Al-Zaman, Dar Al-Andalus (Beirut, 1996 AD).

Ibn Miskawayh, Abu Ali Ahmed bin Muhammad (d. 421 AH / 1030 CE), The Experiences of Nations and the Succession of Determination, investigation: Abu al-Qasim Emami, 2nd Edition (Tehran, 2000 AD).

Al-Maqdisi, Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr (d. 375 AH / 985 AD), The Best Divisions in Knowing the Regions, Edited and presented by: Shaker Laibi, Dar Al-Suwaidi and the Arab Foundation for Studies, 1st edition (Abu Dhabi, Beirut, 2003 AD).

Al-Muhallabi, Al-Hasan bin Ahmad (d. 380 AH / 990 AD), Al-Masalik wal-Mamalik, collected, commented on, and footnotes: Tayseer Khalaf, Dar Al-Taluwan, 1st edition (Damascus, 2006 AD).

Al-Nuweiri, Ahmed bin Abdel-Wahhab (d. 733 AH / 1332 AD), The End of the Earp in the Arts of Literature, National Library and Archives (Cairo, 1423 AH).

Second – references

Abbas, Suhad Fadel, Scientific Life in the Caucasus, Dar Ghaida (Amman, 2019 AD).

Ibsis, Nawara Ali, the Russian emirates and their foreign relations in the Middle Ages between the ninth and eleventh centuries, National Books House (Benghazi, 2008).

Arnold, Sir Thomas, The Call to Islam, translated by: Hassan Ibrahim Hassan, Abd al-Majid Abdeen and Ismail al-Nahrawi, Al-Nahda Bookshop (Cairo, 1971 AD).

Al-Bar, Muhammad Ali, Before Orthodoxy, Islam Was in Russia, House of Knowledge Treasures (Jeddah, 2010 AD).

Barthold, Vasily Vladimir, History of the Turks in Central Asia, translated by: Ahmed

Al-Saeed Suleiman, The Egyptian General Book Organization (Cairo, 1996 AD).

Dozi, Reinhart, The detailed dictionary of the names of clothing among the Arabs, translated by: Akram Fadel, Arab Encyclopedia House, 1st edition (Beirut, 2012 AD).

Dunlop, d. AD, History of the Khazar Jews, translated by: Suhail Zakkar, Dar Hassan (Damascus, 1990 AD).

Shukri Faisal, The Islamic Conquest Movement in the First Century, Dar Al-Kitab Al-Arabi (Cairo, 1952AD).

Safwa, Najda Fathi, The Arabs in the Soviet Union and Other Studies in Historical and Cultural Relations between Arabs and Russians, Arab Horizons Library (Baghdad, 1984AD).

Abdul Halim, Ragab Muhammad, The Spread of Islam Among the Mongols, Dar Al-Nahda Al-Arabiya (D / M: D / T).

Koestler, Arthur, The Khazar Empire and its Inheritance, translated by: Hamdi Metwally Mustafa, Palestine Studies Committee (Damascus, 1978 AD).

Izzat, Youssef, History of the Caucasus, Arabization: Abdul Hamid Ghaleb, Issa Al-Babi and Partners Press (Istanbul, 1912 AD).

Frank, Irene and David Rautston, The Silk Road, translated by: Ahmed Mahmoud, The National Center for Translation, 2nd edition (Cairo, 2009 AD).

Lombard, Maurice, Historical Geography of the Islamic World during the First Four Centuries, Dar Al-Fikr, 2nd edition (Damascus, Beirut, 1998 AD).

Lubon, Gustave, Civilization of the Arabs, translated by: Adel Zuaiter, Dar Hindawi (Cairo, 2016 AD).

Third - letters and dissertations

Mari, Emad Kamel, Arab-Khazar Relations Until the End of the First Abbasid Era, an unpublished master's thesis, (University of Mosul, 2003 AD).

Fourth - periodicals

Ramzi Bey, Ahmed, Al-Qafjak, research published in Al-Risala Magazine, Issue 724, (Cairo, 1947 AD).

Mari, Emad Kamel, The Islamic State of the Bulgars in the North Caucasus, research published in the Journal of Kirkuk University for Human Studies, Vol. 8, 2012.

Fifth - foreign references
Vernadsky, George, Ancient Russia, Yale univ (press, 1952).